

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { فلما أحس عيسى } أي استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال { قال من أنصاري إلى الله } قال مجاهد : أي من يتبعني إلى الله وقال سفيان الثوري وغيره : أي من أنصاري مع الله وقول مجاهد : أقرب والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله ؟ كما [كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربِّي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربِّي حتى وجد الأنصار فآتوه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر بهم وأرضاهم] وهذا عيسى ابن مريم عليه السلام انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به ووازروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ولهذا قال الله تعالى مخبراً عنهم { قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بما وشاهد بأننا مسلمون * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين } الحواريون قيل : كانوا قصارين وقيل : سموا بذلك لبيان ثباتهم وقيل : صيادين وال الصحيح أن الحواري الناصر كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : [لكلنبي حواري وحواري الزبير] وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن سماع عن عكرمة عن ابن عباس بهما في قوله { فاكتبنا مع الشاهدين } قال : مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا إسناد جيد ثم قال تعالى مخبراً عن ملايين بني إسرائيل فيما هموا به من الفتاك بعيسى عليه السلام وإرادته بالسوء والصلب حين تملؤوا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان وكان كافراً أن هنا رجلاً يصل الناس ويصد لهم عن طاعة الملك ويفسد الرعايا ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقا بهم ورموه به من الكذب وأنه ولد زنده حتى استثاروا غضب الملك فبعث في طلبهم من يأخذوه ويصلبه وينكل به فلما أحاطوا بمنزله وطنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم ورفعه من روزنة ذلك البيت إلى السماء وألقى الله شبهه على رجل من كان عنده في المنزل فلما دخل أولئك اعتقاده في ظلمة الليل عيسى فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك وكان هذا من مكر الله بهم فإنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم وتركهم في ضلالهم يعمرون يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعناداً للحق ملازماً لهم وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم القيمة ولهذا قال تعالى : { ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين }